

المحاضرة الخامسة: نظريات الإيكولوجيا الكلاسيكية

- بارك والمنظور الإيكولوجي للمدينة (الإيكولوجية الحضرية):

يعد روبرت إيزرا بارك المؤسس الفعلي للنظرية الإيكولوجية في علم الاجتماع الحضري، وهو من أبرز مؤسسي مدرسة شيكاغو ومنظري الدراسات الحضرية وقد نشر مقاله سنة 1916 بعنوان المدينة يطرح فيها نظريته وافكاره ، والتي تتمحور حول دراسة السلوك الإنساني في البيئة الحضرية ، فالمدينة بوصفها مكانا وباعتبارها نظاما أخلاقيا حسب رأيه ، أما وصفه لإيكولوجيا المدينة فهو لا يقتصر على التقسيم المكاني الداخلي للمدينة بل أيضا على تأثير الظواهر الفيزيائية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها¹.

وقد عدت كتاباته بعد ذلك من الركائز الأساسية التي إستندت إليها الدراسات الإيكولوجية وقد تأثر بفكرتين هما الداروينية الإجتماعية والإقتصاد الكلاسيكي.

ويرى بارك ومعه برجس أن المدينة نظام إيكولوجي يتغير باستمرار ، ويحكم تنظيمها الإجتماعي عمليات المنافسة والتكافل وتختلف هذه العلاقات التنافسية عبر الزمن وترتبط بالتغيرات في الظروف البيئية ، والإيكولوجيا البشرية هي فرع من الإيكولوجيا موضوعها الإنسان ، و ينظر بارك إلى المدينة على أنها المكان الطبيعي لإقامة الإنسان المتحضر وهي منطقة ثقافية لها أنماط ثقافية خاصة بها². والمدينة تتناول تنظيما وتوزيعا للسكان لا يتم بشكل مخطط أو محكوم بل بشكل طبيعي، وهكذا إستعار بارك من الإيكولوجيا مصطلحات كالتكافل والتماثل والعزل والغزو والتتابع وغيرها³.

¹ - محمد عاطف غيث ،مرجع سابق، ص.38

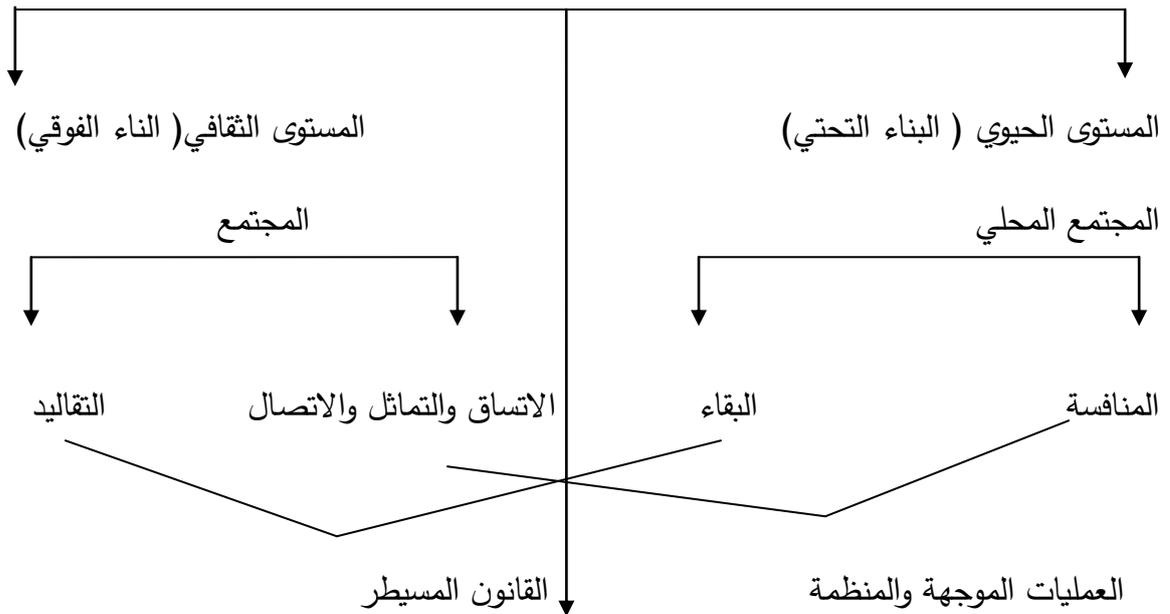
² - السيد عبد العاطي ،علم الاجتماع الحضري ، ج1، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، ،2003ص.313

³ - هناء محمد الجوهري ،مرجع سابق، ص.40

ويرى بارك أن أفراد المجتمع يعيشون في إطار بيئة مكانية ومع أن هناك عوامل اجتماعية تؤثر في هذه البيئة ألا أنها تبدو وكأنها طبيعية، بمعنى أن الأفراد يعتمدون عليها بينما هي تمارس عليهم تأثيرا كبيرا خاصة فيما يتعلق بالمعتقدات⁴.

وتعتبر المدينة عند بارك هي مكان و بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها وذلك في إطار تفسيره للعمليات الاجتماعية الحضرية وأنماط التفاعل الاجتماعي الحضري ، حيث إرتكزت نظرية بارك حول مفهوم المنافسة التي يتم على أساسها التوزيع السكني للأفراد على أجزاء وأماكن المدينة⁵. وأن للمدينة تنظيما أخلاقيا وآخر فيزيقي وكلا التنظيمين يتفاعلان مع بعض.

شكل رقم (01) التنظيم الاجتماعي



المصدر : اسماعيل قيرة ، 2004، ص 52.

حدد بارك أربعة أبعاد لصورة المدينة الحديثة⁶ :

⁴- السيد الحسيني ، مرجع سابق ، ص 124.

⁵- محمد بومخولف ، مرجع سابق ، ص 74.

⁶- السيد عبد العاطي ، علم الاجتماع الحضري ، ج2، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2000 ص ص 45-46.

* **البعد الأول** : كون المدينة بناء تجاري وبها سوق وتقسيم العمل والتخصص ومنه قامت العلاقات على المصالح المهنية .

* **البعد الثاني**: الإدارات والأجهزة والمؤسسات الرسمية التي حلت محل الضبط غير الرسمي مثل الشرطة المحاكم وهي أنسب أشكال التنظيم للمدينة.

* **البعد الثالث**: يتمثل في الجانب النفسي للحياة في المدينة وذلك بضعف الروابط العاطفية وحلول محلها العقلانية التي تقوم على أساس المصلحة وتبادل المنافع .

* **البعد الرابع**: هو فرص الحرية والقدرة على التسامح والإحتمال في المدينة على الرغم من المشاكل التي أنتجتها الحياة الحضرية على ساكنيها، ومن بين هذه المشاكل تلوث البيئة الحضرية بالنفايات المنزلية وآثارها على صحة أفراد الأسر الحضرية التي تعيش في المدينة ، وبذلك يرى بارك أنه على الرغم من المشاكل التي تنتج في المدينة وتأثيرها على سلوك ساكنيها من حيث ظروف العيش ، حيث توجد طبقتين واحدة غنية تعيش حياة الرفاه وأخرى فقيرة تعاني من التفكك والحرمان والتهميش الحضري ⁷ ، وهذا يؤثر على سلوكها إتجاه البيئة التي تعيش فيها من حيث المساهمة في تلويث البيئة ولا مبالاتها بذلك وبالنتائج المترتبة على ذلك ، إضافة إلى مدى توفر الإمكانيات المتاحة ، إلا أنه ينظر إلى العيش فيها بنظرة إيجابية ومتفائلة .

ويرى بارك أن المدينة هي المجال الأنسب لدراسة الحياة الاجتماعية فهي تمثل المختبر الاجتماعي.⁸

-إرنست برجس والدوائر المتمركزة (الحلقات المتمركزة):

في الوقت الذي إهتم به بارك بالجانب التنظيري إتجه برجس إلى الجانب التطبيقي العملي للنظرية الإيكولوجية، حيث يتحقق أكبر إنجاز للنظرية الإيكولوجية إذ يرجع الفضل لبرجس في تحديد التنظيم

⁷ - لقمان ردا ف ، مرجع سابق، ص.59

⁸ - عبد الرحمان المالكي ، مرجع سابق ، ص.125

الخارجي للمدينة من حيث المكان، فلقد قدم تصور نظري خاص للنمط الإيكولوجي الحضري والذي سمي

بنظرية الدوائر أو الحلقات المتمركزة ، وقد عرض إسهامه هذا في المقالة التي نشرها سنة 1925

والموسومة ب: نمو المدينة مدخل مشروع بحث ، إذ قام فيها بدراسة أنماط النمو وتركيب الوظائف في

مدينة شيكاغو وتوصل إلى أن أسعار الأراضي وسهولة الوصول إليها تصل إلى حدها الأقصى في

مركز المدينة التجاري وقلبها ثم تنخفض كلما بعدت المسافة عنها⁹ .

وقد وضح بارك أن نمو المدينة يأخذ خمس حلقات أي دوائر متحدة المركز - ما لم يواجه هذا النمو

عوائق طبيعية - وهي كالتالي:

***الحلقة الأولى منطقة الأعمال المركزية :** وتقع في مركز المدينة وقلبها وتمتاز بتواجد مختلف الأنشطة

التجارية والأعمال والسوق والبورصة والمكاتب والمسارح ، وهنا نجد أن برجس يركز على البعد

الاقتصادي (الصناعة والمهن) كعنصر أساسي في نمو المدينة وتشكيلها ، وتمتاز هذه الحلقة بتوفر

خطوط المواصلات وارتفاع أسعار أراضيها¹⁰ ، ونجدها عرضة للتلوث .

***الحلقة الثانية منطقة التحول والانتقال :** وهي تحيط بالمنطقة الأولى وتقع على أطرافها ، وتتعرض

بإستمرار للتغير بسبب توسع المنطقة الأولى ، كما تمتاز بالكثافة السكانية والتفكك الإجتماعي والبغاء

ومساكن قديمة يقطنها المهاجرون وبعض الصناعات الخفيفة.ونجد أن هذه المنطقة أكثر تلوثا نظرا

للكثافة السكانية التي تولد إنتاج النفايات بكثرة مما يزيد من نسبة التلوث خاصة مع التفكك الإجتماعي

⁹ - عثمان محمد غنيم ، وحسن محمد الاخرس، جغرافية المدن ، دار المنهجية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن 2016، ص.117

¹⁰ - عبد الإله أبو عياش ، وإسحاق يعقوب القطب، مرجع سابق ، ص.131

المنتشر في الفئة السكانية التي تقيم بهذه المنطقة ومظاهر الإجرام واللامبالاة فيما يخص المحافظة على البيئة الحضرية من خلال السلوكيات المتبعة مما ينعكس سلباً على صحة السكان والأسر وعلى بيئتهم .

***الحلقة الثالثة منطقة مساكن العمال :** يقطن بها العمال ، أصحاب المهن ، أبناء المهاجرين والموظفين ذوي الدخل المحدود .

***الحلقة الرابعة منطقة المساكن الجيدة النوعية:** : ويسكنها ذوي الأسرة الواحدة وأصحاب الأعمال التجارية ويسكن الأغنياء منازل مستقلة ارضية وبها حدائق والفيلات، إضافة إلى العمارات المتعددة الطوابق وهي الأكثر إنتشاراً وحدائق عامة وغيرها .¹¹

***الحلقة الخامسة منطقة السفر اليومي أو الضواحي :** وتسمى كذلك بالمنطقة الهامشية و تقع على أطراف المدينة ويسكنها الأثرياء ذوي الدخل المرتفعة وبها منزل فخمة وينتقل ساكنيها إلى عملهم يومياً بمركز المدينة¹² وهذه المنطقة هي أقل تلوثاً من سابقتها .

و الدراسة الإيكولوجية للمدينة في نظر برجس ليست مجرد و صف نموها الفيزيقي بل كذلك دراسة نتائج النمو وآثاره على التنظيم الاجتماعي والشخصية، وقد قام برجس بتقسيم المجتمع المحلي الحضري إلى مناطق متميزة وتفسير التغير الذي يطرأ على البناء الإيكولوجي الحضري وما يترتب عليه من أنماط مكانية متفاوتة¹³ .

-ماكيزي والمركب الايكولوجي:

¹¹ - علي سالم الشواورة ، جغرافية المدن ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن، 2012،ص.294.

¹² - عبد الإله أبو عياش ، وإسحاق يعقوب القطب، وكالة المطبوعات، الكويت ،1980،ص.132.

¹³ - السيد الحسيني ،مرجع سابق، ص.124.

في الوقت الذي ركز فيه كل من بارك وبرجس على تصوير المدينة ككيان فيزيقي، نجد أن ماكيزي إتجه إلى إبراز القوانين والعمليات التي تعمل داخل المدينة والتي تسيطر على التنظيم الإيكولوجي، وتفسر بالتالي وجود هذه المناطق المميزة وذلك من خلال عمليات كالمنافسة والتركيز والتشتت والغزو والتعاقب، لأنها في نظره هي من تخلق هذه المناطق الطبيعية التي تشكل البناء الفيزيقي للمدينة¹⁴.

- هومر هوايت ونظرية القطاعات :

تعود فكرة النظرية في الأصل إلى هارد وذلك سنة 1903، ومن قبله العالم الألماني فون ثونن عام 1826 في مدينته المنعزلة في جنوب المانيا، إلا أن الباحث هومر هوايت بذل جهدا كبيرا في تطوير الفكرة وتطبيقها الفعلي وقد نشرها سنة 1939¹⁵، حيث قام بدراسة 142 مدينة وهذا بعد الانتقادات التي تعرضت لها نظرية برجس، وقد حاول هوايت تحديد النمط الإيكولوجي للمدينة في ضوء فكرة القطاع وإستند في ذلك على فكرة إنتشار المناطق السكنية بأنواعها المختلفة يخضع لعملية توزيع دخول الأفراد ، و قسم المناطق إلى خمس قطاعات كالتالي:¹⁶

*القطاع الأول : ويضم منطقة الأعمال والتجارة وتتوسط قلب المدينة وتعتبرالمركز التجاري الرئيسي

*القطاع الثاني: ويضم مؤسسات التجارة الخفيفة والصناعات الخفيفة

*القطاع الثالث : تضم منطقة السكن لذوي الدخل المحدود والمنخفض من العمال وتكون الإيجارات

منخفضة.

*القطاع الرابع : وتضم منطقة السكن لذوي الدخل المتوسط وهي سكنات متوسطة النوعية وبإيجارات

متوسطة.

¹⁴ - السيد عبد العاطي ، ج1، مرجع سابق ،ص.316.

¹⁵ - علي سالم الشواورة ،مرجع سابق ،ص.298.

¹⁶ - محمد عثمان غنيم ، وحسن محمد الاخرس ، مرجع سابق ،ص.122.

***القطاع الخامس** : تضم منطقة السكن الجيد وإيجارات مرتفعة لذوي الدخل العالي والأثرياء والملاحظ أن هويت ركز في دراسته على مستويات إيجارات المساكن وعلى الطرق التي تتحكم في التركيب الداخلي للمدينة والذي ينطلق من قلبها باتجاه الأطراف¹⁷.

- هاريس وأولمان ونظرية النوايا المتعددة :

جاءت هذه النظرية كتعديل للنظريتين السابقتين بعد تعرضهما للنقد، فقدا عالمي الجغرافيا تشونسي هاريس وإدوارد أولمان سنة 1945 نظريتهما القائمة على فكرة أن نمو المدينة لا يتركز على نواة واحدة بل على نوايا متعددة¹⁸، بمعنى آخر أن أنماط استخدام الأرض في المدن تنمو حول بعض النوايا المنفصلة والمتعددة وليس حول مركز واحد فهناك نواة في مركز المدينة وهي منطقة النشاطات التجارية والخدمات الرئيسية ، وهناك نواة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة بالقرب من النواة الرئيسية، وهناك نواة الصناعات على أطراف المدينة وحول هذه النوايا تتوزع مناطق سكنية متنوعة، منها ماهو للدخل المحدود ومنها ماهو للدخل المتوسط و آخر للدخل المرتفع، اما مناطق الضواحي فتمثل نطاقا مابين البيئة الحضرية والريفية.

ومن العوامل التي تسبب في وجود نواة مستقلة مايلي:

- تحتاج بعض الأنشطة إلى تسهيلات خاصة، فمثلا التجارة ترتبط بأجزاء المدينة نظرا لسهولة الوصول إليها، أما وظيفة الميناء فترتبط بالجهة المائية في حين تحتاج الصناعة إلى طرق ومواصلات ومساحات واسعة من الأراضي.

¹⁷ - عبدالإله أبو عياد، وإسحاق يعقوب القطب، الإتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات، الكويت ، 1980 ، ص.133 .

¹⁸ - اسماعيل قيرة ،مرجع سابق،ص. 64

- تجاوز الأنشطة المتشابهة إذ يفيد في جذب العمال وتبادل الفائدة وفرص الشراء من خلال الفرق بين الأسعار وجودة السلع وتوفرها بالإضافة إلى الأسعار المنخفضة للإيجارات.
- تتعارض بعض الأنشطة مع بعضها البعض فمثلا لا تتواجد المصانع مع مساكن طبقة الأغنياء
- بعض الأنشطة كالتخزين مثلا لا تتحمل دفع ايجارات مرتفعة ، فيتم البحث عن الإيجارات المنخفضة مما يؤثر على النمط العام لهذه المناطق.